

نفحات القرآن

[171] إِنَّ كَثْرَةَ وَوَفْرَةَ آيَاتِ اللَّهِ فِي عَرْضِ السَّمَوَاتِ، وَجَمَالَ السَّمَاءِ فِي اللَّيْلِ، دَفَعَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ وَالْأَحَادِيثُ إِلَى دَعْوَةِ النَّاسِ بِاسْرِهِمْ وَخَصِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ إِلَى التَّفَكُّرِ فِي السَّمَوَاتِ مِنْ أَجْلِ كَسْبِ الْمَزِيدِ مِنَ الْإِيمَانِ، فيقول القرآن الكريم في الآية 6 من سورة ق: (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ)؟! وقد أَمَرَتِ الرِّوَايَاتُ "المستيقظين في الاسحار" خاصة، أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ أَوَّلًا حِينَ يَنْهَضُونَ "لصلاة الليل"، وَأَنْ يَقْرَأُوا الْآيَاتِ الْآخِرَةَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ الَّتِي تَنْعَكُسُ فِيهَا جَمِيعُ هَذِهِ الْحَقَائِقِ بِنَحْوِ عِرْفَانِيٍّ: (إِنََّّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ . . .) ثُمَّ يَتَوَجَّهُونَ نَحْوَ الْعِبَادَةِ (حَيْثُ يَمْتَلِئُ الدُّعَاءُ بِعَطْرِ التَّوْحِيدِ وَمَعْرِفَةِ اللَّهِ) (1). وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) حِينَ كَانَ يَنْهَضُ إِلَى صَلَاةِ اللَّيْلِ يَبْتَدَأُ بِالسَّوَاكِ ثُمَّ يُلْقِي نَظْرَةً عَلَى السَّمَاءِ، وَيَرُدُّ هَذِهِ الْآيَاتِ (2). وَوَرَدَ فِي صِفَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ((عَلِيهِ السَّلَامُ)) أَيْضًا عَنْ أَحَدِ أَصْحَابِهِ وَيَدْعَى (حُبَّ الْعَرْنِيِّ) حَيْثُ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا وَنُوفَ (أَحَدِ أَصْحَابِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ ((عَلِيهِ السَّلَامُ))) نَائِمِينَ فِي رَحْبَةِ الْقَصْرِ إِذْ نَحْنُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ((عَلِيهِ السَّلَامُ)) فِي بَقِيَّةِ مِنَ اللَّيْلِ، وَاضْعَاءً يَدِيهِ عَلَى الْحَائِطِ شَبِيهِ الْوَالِدِ، وَهُوَ يَقُولُ: (إِنََّّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالَ: ثُمَّ جَعَلَ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَاتِ وَيَمُزِّجُ شَبَهَ الطَّائِرِ عَقْلَهُ، فَقَالَ لِي: أَرَأَيْدُ أَنْتَ يَا حَبِّهَ أَمْ رَأَمَقُ؟ قَالَ: قُلْتُ: رَأَمَقُ هَذَا أَنْتَ تَعْمَلُ هَذَا الْعَمَلَ فَكَيْفَ نَحْنُ؟ فَأَرَخَى عَيْنَيْهِ فَبَكَى، ثُمَّ قَالَ لِي: يَا حَبِّهَ، إِنْ لَمْ يَمُوتْ وَلَمْ يَبْنِ يَدِيهِ مَوْقِفًا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِنَا، يَا حَبِّهَ إِنْ أَقْرَبَ إِلَيَّ وَالِيكَ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، يَا حَبِّهَ إِنَّهُ لَنْ يَحْجِبَنِي وَلَا يُبَاكِ عَنْكَ شَيْءٌ . . . " (3).